

المخابرات

مفهومها ومراحل تطورها من النشأة إلى العهد العباسي

د/ شوقي عبد الكريم

مقدمة:

إن أمن الدول والشعوب هو هاجس كل النظم والحكومات والأجهزة المكلفة بتلك المهام، والتي منها أجهزة المخابرات والجوسسة، وإذا كانت السرية مطلوبة في معظم أنشطة هذه الأجهزة، فإن الفطنة والوعي قد يكونان ضروريين لإزالة الكثير من الغموض الذي يعلق بأذهان المواطنين، وذلك بنشر الحقائق التي لا تضر بأمن الدولة، والتي تقرب إلى الناس مفهوم المخابرات الحقيقي، وكذا رسالتها الكبرى ودورها في المحافظة على الأمن القومي للدولة.

هذه الأجهزة الحساسة أصبحت اليوم ضرورة استراتيجية لا يمكن لأي دولة عصرية أن تعيش بدونها، لأنها تحوي بين ثنايا نشاطها عمليات ضخمة باهظة التكاليف، نتيجة تلك الحروب التي تشنها أجهزة المخابرات المعادية ضد بعضها البعض، حيث لا تكون هناك حرب ساخنة يستخدم فيها السلاح التقليدي، وإنما حرب تعتمد على المواهب العقلية والذهنية، سواء في نشاطها الإيجابي كالقيام بأعمال الجاسوسية بمعناها الشامل، أو في مقاومة التجسس.

وفي هذا الجزء من نشاط المخابرات يلعب الدهاء دوراً كبيراً، ويستغل كل طرف جل الوسائل العملية والفنية والعقلية لشل خصمه، وذلك في محاولة للتعبير عن فلسفة المخابرات ونشاطها في حدود هذا المفهوم، فالمخابرات علم شاسع يحتاج كل نوع فيه إلى مؤلفات عدة، تدور حول طبيعته ومفهومه الذي كان غير واضح، حيث أسيء فهمه وحدث خلط بين مهمة المخابرات وأجهزة الأمن

الأخرى، فعمل المخابرات ينفرد بمعركة الدهاء من زاويتي التجسس ومكافحته، والفروع المتعلقة بكل منهما.

إن هذه المهنة في حد ذاتها تظل متسامية تجسد نشاطاً أمنياً حيوياً بالغ الأثر، عظيم الخطر، ينبغي أدائها صوناً للأمة وكيانها من الاختراق والإضرار، ومواجهة عصابات الإجرام والكشف عنها والدرء من مخاطرها، كما يجمع المختصون اليوم بأن التهريب بوسائله الخفية المذهلة يتم ضبطها بفعل "خبر" يكون نتاج عمل يمارس بأداء رفيع يسمو "بالمخبر" إلى مصاف الحارس الأمين ذي المثابرة والحنكة والدهاء.

إن أبعاد هذه المعركة التي يستخدمها أعضاء المجتمع الدولي اليوم في صراعهم الأليم، الذي يتخذ صوراً متعددة هي الصورة الحقيقية لتلك المهمة الشاقة، التي يقوم بها رجال المخابرات لإزالة ما علق من أوام في أذهان الناس حول المخابرات نتيجة القصص الأسطورية المتناقلة.

أولاً: مفهوم المخابرات:

إن هذه المهمة أو المهنة حملت عبر العصور والأزمنة تسميات متعددة تتشابه في المضمون، للدلالة على نشاط هام يتشابه في الجوهر، مارسه الإنسان منذ أقدم العصور ومازال يمارسه إلى حد اليوم، ومن هذه التسميات: الاستقصاء، الاستخبارات، المخابرات، الجاسوسية، المكتب الثاني، الشعبة الثانية، الأمن القومي، الأمن العسكري... الخ.

ويتميز النشاط الاستخباري بالعمل السري في حقل أو ميدان معين للإطلاع على أسرار، ونقل المعلومات المكتشفة بوسائل مختلفة إلى من يهمه الأمر، وقد يكون هذا الحقل متعلقاً بالعلوم أو التجارة أو الصناعة أو الفنون أو حتى الشؤون الدينية، أو الشؤون العسكرية والسياسية والأمنية، أو كل ما يتصل بالحكومات والجيوش والإدارات الرسمية وشبه الرسمية في كافة أنحاء العالم.⁽¹⁾

ويتضح من تحليل معاني التسميات، أن كلمة استخبارات وكلمة مخابرات متصلتان من جذر "خبر" ذات المعاني العديدة، المصدر فيها الخبر أي العلم

بالشيء، ومنه خَبَرٌ وخَبِرَ خُبْرًا وخُبْرًا وخُبْرَةً وخُبْرَةً ومَخْبَرَةً ومَخْبَرَةً الشيء وبه: علمه بحقيقته وكنيته، وخَبَرَ أَخْبَرَ الشيءَ وبالشيء: أعلمه أيّاه وأنبأه بما عنده، أما فعل خَابَرَ فيستعمله البعض بمعنى كالمه وباحثه، وتَخَبَّرَ الأمر يعني علمه بحقيقته، وتخابرا أي تكالما وتباحثا، وتَخَبَّرَه تعني سأله الخبر⁽²⁾.

واختبر الشيء معناه أيضا علمه بحقيقته، واستخبر تعني تخبر أي العلم بالشيء، أما الخَبَر والخَبِير من الرجال فهو العالم بالخبر. والخبر جمعها أخبار وأخبار، ومعناها ما ينقل ويُحدث به. والأخباري هو من يدون الأخبار ويسردها فهو أشبه بمراسل الصحف⁽³⁾.

أما مصطلح الجاسوسية أو التجسس فهو من جذر "جس" ذات المعاني العديدة. المصدر فيها الجس أي أحدَ النظر إليه ليتبينه، أو مسه بيده ليتعرفه، ومن هذا المصدر: جَسَّ وَجَسَّسَ وَاجْتَسَّ أي بحث عن الأخبار والأمور، وتفحصها. الجسيس جمع أجسة، والجاسوس جمعها جواسيس. والجسّاس هو الذي يتجسس الأخبار ثم يأتي بها، والجسّاس هو أيضا مفرد جسّاسات، وهو جهاز هوائي ناقل معد لإرسال الموجات الكهربائية أو تلقّيها.

أما الجاسوسية فهي مهنة الجاسوس، وهي منظمة تؤلفها الدول في بلدانها لتتجسس لها الأخبار، وتستطلع الأسرار وتأتيها بها، وعكسها جهاز أو منظمة (ضد الجاسوسية)، تقام أو تجعل لمعاكسة أعمال الجاسوسية⁽⁴⁾.

وقد اعتبر باحثون أن التجسس مهنة قديمة قدم وجود الجنس البشري، وتعتمد بالدرجة الأولى على ذكاء وفطنة الأفراد أو المجموعة التي تقوم بها.⁽⁵⁾ ويفسر "القرطبي"،⁽⁶⁾ التجسس بأنه هو "البحث عما يُكتم عنك". والجاسوس يُسمى "عيناً" لأن عمله بعينه، أو لشدة اهتمامه بالرؤية واستغراقه فيها، وكأن جميع أعضاء جسده صارت "عيناً".⁽⁷⁾

وورد في دائرة المعارف الإسلامية أن كلمة "الجاسوس" تدل على المعنى المعروف، وهي ترد متلازمة مع كلمة "عين" كـ "عين الرقيب"، ومن ثم فإنّه لا يمكن في جميع الأحوال أن نميز بين الكلمتين، ولا يمكن مناقشة إحداها دون

الرجوع إلى الأخرى. على أن الظاهر هو أن كلمة "جاسوس" تستعمل بصفة أخص للدلالة على الـ"عين" الذي يُرسل بين صفوف العدو. وقد عُرِّفت الجاسوسية كما ذكر سبقاً بأنها "مهنة الجاسوس"⁽⁸⁾

وتتحدث القوانين العسكرية عن "التجسس" بمعناه الحديث، حيث أصبحت التسمية تعني نوعاً من أعمال العمل الاستخباري، وهدفه البحث والحصول على المعلومات المختلفة في دولة ما، ونقلها "بطريقة سرية" من مكانها إلى مكان آخر بواسطة عملاء دولة أخرى، وهو أحد الأنواع المختلفة من النشاطات المتعلقة بالأمن الوطني والقومي والسياسة الخارجية التي تمارسها الدولة، وتتبع أهميتها من كون القرارات تتخذ بناء على توافر معلومات معينة.⁽⁹⁾

حسب قواميس أخرى فإن للتجسس (Espionage) معاني متعددة منها: الرصد والتصنت والتتبع الذي تمارسه الشرطة، وكذا التجسس الصناعي، وكل الوسائل المستخدمة لمفاجأة الأسرار الصناعية والتقنية.

والجاسوس هو الشخص المكلف بإجراءات التصنت، على النشاطات والمحادثات... الخ من أجل إعداد تقرير، وهو أيضاً الشخص المكلف بجمع المستندات، والمعلومات السرية على قوة أجنبية بصورة غير مشروعة، ويمكن أن يكون طائراً تجسس، سفينة تجسس أو ضابط المخابرات في أراض أجنبية.

والجوسسة هي نشاط الجواسيس، المنظمات السرية المتواجدة في كل البلدان وفي كل الوظائف، وكذا كل برامج التجسس أو الاستخبارات والاستخبارات المضادة، والتنظيم السري الذي تتمثل وظيفته في الكشف عن الأسرار من قوى أجنبية أو أعداء في خدمة دولة أجنبية، والتي تعتبر جريمة ضد الأمن القومي.⁽¹⁰⁾

وفي اللغتين الفرنسية والانكليزية، أصل التسمية Espionage من فعل Espionner الفرنسي و To spy الانكليزي اللذين يعنيان: مراقبة الآخر بسرية في أفعاله وأقواله لنقل تقرير حولها أو لغاية شخصية. أما التسمية الحديثة فأصبحت تفرق بالذكاء، وأصبحت منظمات التجسس تحمل أسماء Intelligence وأصبح اسم الجاسوس بالانكليزية Intelligencer عوضاً عن Spy. أما في اللغة الفرنسية

فقد أعطي مفهوم الأمن كبديل لكلمة تجسس، وأصبحت أجهزة الاستخبارات تحمل وصف Sécurité، فيقال: المديرية العامة للأمن الداخلي Direction Générale de Sécurité du Territoire واختصاراً (D.G.S.T)، ويقال أيضاً: المديرية العامة للأمن الخارجي Direction Générale de Sécurité Extérieure واختصاراً (D.G.S.E).⁽¹¹⁾

وأما تسمية الشعبة الثانية، وهي شعبة الاستعلامات، والاستخبار العسكري في الجيوش، فقد جاءت بعد الشعبة الأولى، التي تختص بالإدارة والأفراد، وقبل الشعبة الثالثة التي تختص بالتدريب والعمليات، والرابعة المختصة باللوجستية والتجهيز، والخامسة التي تعني بالإعلام والتوجيه والعلاقات العامة، ثم أطلق مجازاً على الشعبة الثانية اسم المكتب الثاني.⁽¹²⁾

وعموماً يطلق على رجال المخابرات والجاسوسية الذين يعملون في الخفاء أسماء مستعارة، أو شنيعة كالأشباح مثلاً. أما تسمية عميل فقد أصبحت غير مرغوب في استعمالها، من قبل أجهزة المخابرات، وإن كانت في الأساس ترجمة لكلمة Agent الفرنسية والانجليزية، وترجمتها الحرفية "وكيل" و"معتمد" و"مأمور السلطة" إضافة إلى "مخبر سري" أي جاسوس. ولا تزال كلمة "الجاسوس" إلى اليوم غير مرغوب فيها وغير مستحبة، رغم أن الدول قد جعلت مؤسسات التجسس الوطنية المتعددة في مرتبة لائقة.

وكلمة "عميل سري" لا تعني جاسوساً بالمعنى الشامل، فالعميل السري هو من يعمل لحساب دولة بناء على طلب هذه الدولة، سواء كان موظفاً أو متطوعاً، فإنه في نظر الدولة التي تستعمله "عميل"، حتى ولو خان بلده من أجلها. الوحيدون الذين يفرقون بين عميل و عميل هم الانجليز، فتقاليدهم التي تفرق دائماً بين ما هو انجليزي وغيره دفعتهم إلى تسمية العميل الغريب "مخبراً"، ووحده البريطاني بنظرهم يستحق لقب عميل.⁽¹³⁾

إن عمل المخابرات يكتسي أهمية بالغة تجعله لا يقتصر على الميدان الأمني والعسكري فقط، بل يتعداه إلى المجال الدولي لاسيما في العلاقات العامة لسياساتها، وفي الاستعلامات العامة الحديثة يتم تحديد أربع مهمات:

- الحصول على معلومة تركز على تحقيق معطيات ومعارف محددة، قادمة من مختلف جهات العالم، مفتوحة أو مغلقة، باستعمال إمكانيات بشرية أو تقنية.
- تحقيق التحاليل والملخصات التي تهدف إلى دراسة كل المعلومات والمعطيات مجتمعة، من أجل تقديمها لأصحاب اتخاذ القرار.
- العمل على القيام بعملية الحماية، التي تضم عملية التعرف والتعامل، وشمل كل تنظيم معادي للمجموعة الوطنية.

- وفي الأخير الاستغلال أو النشاط، وذلك باستغلال الخطوات الثلاث التي تركز على التأثير دون الإفصاح عن ماهيتها، سواء كدول أو كقوى سياسية، اقتصادية أو اجتماعية... الخ.⁽¹⁴⁾

إن التجسس Espionage نوع من أنواع العمل الإستخباري Intelligence، هدفه البحث والحصول على المعلومات، المتعلقة بدولة ما، ونقلها بطريقة سرية خاصة من مكانها إلى مكان آخر بواسطة عملاء دولة أخرى. والتجسس بهذا المعنى، يعني أنواعا مختلفة من النشاطات المتعلقة بالأمن القومي والسياسة الخارجية التي تمارسها الدولة. وتتبع أهميته من أن كافة القرارات تتخذ بناء على توافر معلومات معينة، وأن يوم رجل الدولة يبدأ وينتهي عادة بقراءة تقارير المعلومات قبل أن يتخذ القرارات المناسبة⁽¹⁵⁾.

وتختلف طبيعة التجسس باختلاف طبيعة المعلومات المطلوبة: وتحتاج وزارة الدفاع مثلا إلى معلومات عسكرية عن العدو والأرض، وتحتاج وكالة الطاقة النووية إلى معلومات علمية وتقنية، وتحتاج وزارة الخارجية إلى معلومات سياسية، أما رأس الدولة فإنه يحتاج إلى مزيج من هذه المعلومات جميعها بالإضافة إلى المعلومات الاقتصادية والنفسية، ويختلف نوع التجسس ونوع وسيلة جمع المعلومات تبعا لذلك⁽¹⁶⁾.

وعليه فإن الاستخبارات أو مصلحة الاستخبارات، أو أجهزة الاستخبارات أو المخابرات، هي مجموعة الأجهزة والتشكيلات والوسائل المستخدمة لجمع المعلومات السياسية والنفسية والاقتصادية والعسكرية الخاصة بالعدو وتحليلها، والعاملة في الوقت نفسه على مكافحة عملية التجسس أو التخريب المعادية، وإبطال كل عمل يقوم به العدو لجمع المعلومات السياسية والنفسية والاقتصادية والعسكرية عن المعسكر الصديق أو الحليف⁽¹⁷⁾.

يذهب بعض من يبحث في موضوع الجاسوسية والاستخبارات، إلى القول أنه في العديد من اللغات المستعملة اليوم في العالم، تسميات متشابهة لفظاً ومعنى لكلمة جاسوس، فهو بالفرنسية "Espion"، وبالانكليزية "Spy"، وبالإيطالية "Seponi"، وبالاسبانية "Espion"، وبالروسية "Shpion"، بالألمانية "Spion"،... الخ، أما معني الكلمة، فتتفق جميع الدول على القول بأنه اسم أو نعت لشخص مهما كان جنسه أو سنه، يقوم أو يضطلع بمراقبة وكشف أخبار فريق أو شخص، أو دولة أو منظمة... الخ، لحساب فريق أو طرف آخر مما تم ذكره، على أن التعمق في تفاصيل المعنى العام والخاص للتسمية أو المصطلح، يبرز فوارق أساسية في النظرة إلى الجاسوس من موقع إلى آخر، ومن زمن إلى آخر⁽¹⁸⁾.

تعتبر دوائر الاستخبارات، أو المخابرات، أو التجسس في جميع أنحاء العالم، بأن مهنة الجاسوس أو العميل هي ثاني أقدم مهنة في العالم، ولا تقتصر إلى الحجة والدليل، لأن إحدى مهام الحكام الأساسية والرئيسية، باختلاف تسمياتهم ونعوتهم منذ عهد الفراعنة حتى الدول المعاصرة تتمثل في نسج شبكة من الجواسيس والعلماء، يوفر لهم المعلومات الكافية لمجابهة أعدائهم، ومن يشكل خطراً عليهم، وعلى دولهم في الداخل وفي الخارج.

وفي الديانة الإسلامية جاء ذكر التجسس مرتبط بالتحسس، وهو تتبع الأخبار وتفحصها، يقال: جس فلان الأخبار وتجسسها، إذا بحث عنها وتتبعها، والجاسوس هو الشخص الذي يتتبع الأخبار، وجاء النهي عن التجسس بالقرآن الكريم مرتبطاً باجتناب الظن في قوله تعالى: "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ

الظَّنَّ إِنَّمَا وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبَ بَغْضُكُمْ بَعْضًا أُحِبُّ أَحَدَكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَحِيمٌ" سورة الحجرات، الآية 12.

والتجسس بالحاء المهملة مثل التجسس، ورجل حساس الأخبار، أي كثير الطلب لها. وقد ورد التجسس في القرآن بمعنى طلب جمع الأخبار، قال تعالى على لسان سيدنا "يعقوب" عليه السلام: "يَا بَنِي أَذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِنْ يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَيَسَّسُوا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَنْبَسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ" سورة يوسف، الآية 87.

والمعنى يا بني اذهبوا إلى الموضع الذي جئتم منه، أو البلاد التي منها جئتم وخلفتكم أخويكم بها، فتحسسوا من يوسف وتعرفوا من خبره. وأصل التجسس التعقل من الحس، وأخيه يعني به بنيامين.⁽¹⁹⁾

وقد قيل التجسس تتبع الظواهر، والتحسس تتبع البواطن، وقيل أيضا التجسس غالبا يطلق على الشر، والتحسس يكون غالبا في الخير، وغير ذلك من الفوارق، وهناك التصنت أو التسمع، فإذا كان سرا فهو بمعنى تجسس.⁽²⁰⁾

ومثل "الجاسوس" نجد "العين"، وفي (دائرة المعارف الإسلامية) مصطلح أو كلمة "الجاسوس" تدل على المعنى المعروف، وهي ترد متلازمة مع كلمة أو مصطلح "عين"، بمعنى الرقيب، ومن ثم فإنه لا يمكن في جميع الأحوال أن نميز بين الكلمتين، ولا يستطيع المرء أن يناقش إحداها دون الرجوع إلى الأخرى، على أن مصطلح أو كلمة "جاسوس" تستعمل وتوظف بصفة أخص للدلالة على العين يرسل بين صفوف العدو، ويستعمل أيضا لفظ أو كلمة المخبر، وهو من يتجسس الأخبار محافظة على أمن الدولة.

ويمكن تلخيص ما تقدم بأن التجسس عبارة عن البحث والتفتيش عما يخفى من الأخبار والمعلومات السرية، وميادينه داخل حدود الدولة وخارجها، ومجاله الأفراد والمجتمعات والدول.⁽²¹⁾

أما الإجراءات الوقائية التي تقوم بها أية دولة، في التصدي لكل الأعمال المخابراتية، التي تستهدفها محاولة اختراقها والحصول على المعلومات بشتى

الطرق والوسائل، مع إمكانية تنفيذ عدد من الأنشطة الهدامة داخلها، فيطلق عليها اسم "المخابرات المضادة"، التي يمكن تعريفها بأنها "مجموعة الأنشطة التي تقوم بها أجهزة المخابرات في الدولة لوقاية أسرار الدولة، ومواطنيها ومنشأتها الحساسة من اختراقها بواسطة أجهزة المخابرات الأجنبية"، أي أنها أنشطة دفاعية توجه لمنع وعرقلة جهود المخابرات الأجنبية، وعدم تمكينها من تنفيذ أنشطتها داخل الدولة. ومن الملاحظ أن كافة أجهزة المخابرات العالمية تمارس أعمال المخابرات الهجومية والدفاعية بعضها ضد بعض وبشكل مستمر، وبدرجات متفاوتة. (22) وتنقسم أنشطة المخابرات المضادة، أو الوقائية إلى ثلاثة أقسام أو مهام أو نشاطات، هي:

1. الأمن: المتمثل في مجمل الجهود والاحتياطات والأنشطة، التي تهدف إلى حماية ووقاية المعلومات والأنشطة ذات الطبيعة الحساسة من تغلغل واختراق المخابرات الأجنبية. ويمكن حصر القطاعات المستهدفة في السياسة القومية، والمعلومات العسكرية والاقتصادية، والقرارات الدبلوماسية وغيرها من المعلومات ذات الطابع السري، التي لا يجب أن تصل إلى الكل بل يجب حصرها في طبقة ضيقة من المسؤولين قصد تأمينها.

2. مقاومة الجواسيس: وذلك عن طريق بذل كافة الجهود، واتخاذ كل الإجراءات، التي تستهدف كشف التجسس وتحديدتها والتعامل معها.

3. مكافحة الأنشطة الهدامة: وذلك باتخاذ كل الإجراءات الموجهة لمقاومة الأنشطة المتعارضة مع مصالح ومؤسسات الدولة، والتي تتخذ أساليب غير قانونية وغير شرعية وإرهابية وتخريبية أحياناً لتنفيذ مخططاتها. وواجبات مكافحة الجاسوسية تتعدى متابعة الأنشطة التخريبية للعملاء الأجانب إلى أعوانهم في داخل الدولة من الجواسيس الذين يكون قد تم استقطابهم لجمع المعلومات والأسرار وتقديمها للعدو. (23)

يستنتج من كل ما سبق ذكره أن التجسس، هو البحث والتفتيش عما يخفى من الأخبار والمعلومات السرية الخاصة بالعدو، بواسطة أجهزة التجسس بقصد الاطلاع عليها والاستفادة منها في إعداد خطة المواجهة.

أما مصطلح المخابرات، فكثيرا ما يستخدم استخدما مزدوجا، فهو يعني أحيانا "عمليات المخابرات نفسها"، وأحيانا أخرى "نتائج وثمار هذه العمليات"، التي تعرف على أنها "المعرفة والعلم بالمعلومات التي يجب أن تتوفر لدى كبار المسؤولين من المدنيين والعسكريين حتى يمكنهم العمل لتأمين وسلامة الأمن القومي"، وأيضا "الحصول على كل الأمور التي يجب أن تعرف قبل البدء في العمل، ومقدمة لتنظيم خطة العمل"، فإن توافر المعلومات لواضع أو صانع القرار، ضروري للغاية أو بالأحرى حيوي ولا يمكن الاستغناء عليه، ومن شأن المخابرات الجيدة أو الناجحة، أن تقلل من متاعب وصعوبة اتخاذ الرأي، وصنع القرار وصياغته. (24)

وتعرف دائرة المعارف البريطانية المخابرات، بأنها "الحصول على المعلومات عن خصم أو حتى حليف أو عن دولة محايدة"، والمخابرات المضادة بأنها "عبارة عن تأمين الأسرار الخاصة بالدولة ذاتها".

وتهتم المخابرات أساسا بمسائل الحرب والدفاع وجمع المعلومات الدبلوماسية والاقتصادية والصناعية وتأمين تلك المعلومات، وهناك اتفاق على أن المخابرات تتعامل مع المعلومات في مراحل متعددة، وتضعها في الشكل الذي يجعلها ذات فائدة. كما توجد وجهة نظر توضح أن مسألة الحصول على المعلومات وجمعها شيء، وتصنيف وإيضاح هذه المعلومات شيء آخر، أما مسألة استخدامها فأمر ثالث يخضع لقواعد وأسس تقدر أهميتها حسب رؤية النظام السياسي للدولة. (25)

ثانيا: التطور التاريخي للعمل المخابراتي.

وبالعودة إلى التاريخ فإننا نجد أن أعمال وأنشطة الاستخبارات أو المخابرات أو الجاسوسية، ليست وليدة الوقت الحاضر، أو الوقت القريب، بل مارسها الإنسان

منذ أغرق العصور، في سبيل تحقيق حماية نفسه وقوته. وقد بذل الحكام في سبيل ذلك جهودا كبيرة، الغاية منها الحصول على معلومات عن البلاد المنافسة، التي تقف أمامها موقف الخصم المزاحم، وكانت جيوشها حريصة في التعرف على معلومات عن الجيوش المنافسة، وعن مسارح العمليات الحربية المحتملة أو المتوقعة الحدوث مع أعدائها.⁽²⁶⁾

يقول "الآن دالاس"⁽²⁷⁾ أن تاريخ نشاط الاستخبارات قديم قدم المنافسة بين المجتمعات والأمم، وما دامت قد وجدت حاجة ملحة لحماية المصالح الحاسمة الأهمية لحاكم أو دولة أو حكومة، كانت هناك حاجة ملحة للاستخبارات، وهكذا كان من الممكن أن نجد في أقدم التسجيلات لحوادث التاريخ أقدم صور الاستخدام للاستخبارات، في الكثير من المواقف والحروب.

في حين تؤكد المصادر التاريخية أنه كان للمصريين القدماء نظام تجسس منذ خمسة آلاف عام، وكانوا يعتبرونه فنا رفيعا ولونا من ألوان العلم الحربي، يوظف ضد الأعداء، وهو الأمر الذي أكده الأثريون من خلال النقوش الفرعونية، كما أن سجلات قدماء المصريين حوت ما يفيد قيامهم بأعمال عظيمة في مجال المخابرات، وذلك خلال حكم الأسرة الفرعونية الثانية عشر (3400-3600 ق.م).⁽²⁸⁾

كما عرف الصينيون نظام الجوسسة مبكراً، غير أن الرموز لم تبلغ عندهم درجة عالية من التطور والقدم، وتمت مراسلاتهم بطريقة شفوية، أو بواسطة رسائل كتبت على حرير ناعم، توضع في كرات صغيرة من الشمع يخفيها ناقلوها في أحشائهم بابتلاعها أو بإدخالها من الخلف، لكن الأمر ظل محصوراً في نطاق ضيق ومحدود، بدليل أن "جنكيز خان"⁽²⁹⁾ وهو أكبر المتوسعين في آسيا لم يعرف الرمز طوال توسعته، ولم تتطور لغة الرمز في الصين مع أن الحضارة الصينية سبقت الكثير من الحضارات التي واكبتها، لأن اللغة الصينية كانت في حد ذاتها لغة رموز ينذر قارئها من الصينيين أنفسهم.⁽³⁰⁾

ولقد كان الجنرال الصيني "صن تسو"⁽³¹⁾ وهو أول من درس الجاسوسية كرياضة ذهنية وحل هذه الظاهرة في عام 510 ق.م، مروراً بالفكر الميكافلي

الذي تواصل في القرن السادس عشر، إلى نتيجة مؤداها أن ثمة أسلوبين للتغلب على العدو هما: القوة والخداع. (32)

كذلك فعلت الهند، فقد عرف لديها كتاب شفوي توارثته الأجيال منذ أمد بعيد يتضمن العديد من التقاليد المتبعة في إحضار المعلومات ورصد حركات الخصوم والأعداء، وقد جاء في كتب التراث الهندية أن الإله "براهما" قد أوصى أحد الحكماء بهذه المقولات: "أرسل جواسيسك بأسرع مما تتحرك قدمك ولا تدع نفسك تهلك لأمن الأقربين أو من الأجانب تجسس عليهم وأعرفهم" (33).

تعد حضارة بلاد الرافدين بالعراق، من الحضارات الغنية بأحداثها، إذ كانت أرضها مسرحاً لتلاقي الشعوب ومرورها، وكان من الطبيعي أن تعرف عبر مختلف العصور أنواعاً من الجاسوسية، كما لم تشهد أي بقعة أخرى من العالم. ولقد عرفت تطوراً كبيراً في مجال الاستخبارات ولغة الرمز، حيث تعود أقدم لوحات مكتوبة بالخط المسماري عليها رموز غير مفهومة إلى حوالي عام 1500 ق.م، وجدت في سيلوسيا على ضفاف دجلة، كان الطلاء الذي غطيت به الأول من نوعه في التاريخ، وقد استخدم لإخفاء رموز لم يستطع العلم حتى هذه اللحظة فكها. (34)

وفي نفس الإطار والزمان عرفت منطقة شرق البحر المتوسط، وبالأخص منطقة الشام أعمال الاستخبار والتجسس، وذلك بسبب عوامل تاريخية وجغرافية تميزت بها هذه البقعة، والتي تعد نقطة اتصال بين ثلاث قارات، الأمر الذي جعلها معرضة لأخطار الغزوات من جميع الجهات، ولاسيما أنها جاورت الحضارة المصرية واليونانية من ناحية الغرب، وحضارة بلاد الرافدين من ناحية الشرق. كما كانت مهد أغلب الديانات السماوية، كل هذه الظروف مجتمعة شجعت على ظهور نشاط تجسسي كبير ونموه بالمنطقة. (35)

وتأكيداً على ذلك ذكرت التوراة أن سيدنا موسى (عليه السلام)، أرسل جواسيسه إلى أرض الكنعانيين (36) التي ألفت حصونها القوية الرعب في قلوبهم، كما انبهروا بخيرات بلاد الشام. (37) وجاء فيها أيضاً أنه عندما أمر الرب "يشوع بن

إن أول من استخدم جدول بوليب في الأمور العسكرية، هو يوليوس قيصر⁽⁴⁴⁾، في رسالة بعث بها إلى شيشرون، والتي كان لها فضل كبير في انتصار الرومان بحرب بلاد الغال⁽⁴⁵⁾، إذ جعلت شيشرون يصمد بعد أن قرأ أن النجدة آتية خلال أيام من القيصر. هذا الأخير الذي خلد اسمه في تاريخ فك الرموز بعد أن أدخل تعديلات على جدول بوليب، وكان أول من اعتمد الأبجدية البديلة القائمة على استبدال كل حرف منها بالحرف الذي يليه بالدرجة الثالثة، أي أن الألف تستبدل بالثاء، والباء بالجيم وهكذا، واليوم أصبحت هذه الطريقة تعرف بـ "أبجدية يوليوس قيصر".⁽⁴⁶⁾

أما بلاد المغرب فلم تخرج عن السياق الذي كان العالم آنذاك يعيشه، بحيث عرفت نشاطاً استخباراتياً هاماً، خاصة أيام الصراع القرطاجي الروماني، أو النوميدي الروماني. لقد كان القائد القرطاجي "هانيبال"⁽⁴⁷⁾ قائداً عبقرياً ولوعاً بمفاجأة أعدائه وإشاعة الفزع في صفوفهم، معتمداً في حروبه على التجسس، قاد حملة عبرت مضيق جبل طارق وانتصر على الأسبان عام (220 ق.م)، واتجه شمالاً إلى جنوب فرنسا، وتسلق جبال الألب من الشمال إلى الجنوب رغم الصعاب وقسوة البرد، الذي فتك بكثير من الجنود والفيلة التي استخدمها في حروبه، وهبط إلى سهول إيطاليا⁽⁴⁸⁾ محطماً كل جيوش الرومان التي تصدت له، بحيث يقدر ضحايا هذه الحرب من أعدائه بعشرات الآلاف.⁽⁴⁹⁾

وأثناء غزو (هانيبال) لجزيرة (صقلية)⁽⁵⁰⁾ تعذر عليه الاستيلاء على إحدى المدن رغم الحصار الطويل، فأراد أن يعرف سر قوة المدينة ومنعتها، فأرسل أحد رجاله فدخل المدينة وادعى أنه جندي مرتزق، وعرض خدماته على حاكم صقلية، وأقام في المدينة يتجول فيها، ويدرس تحصيناتها وخطط الدفاع عنها، ويرسل الإشارات إلى (هانيبال) عن طريق الدخان المتصاعد من نار يوقدها لطهي طعامه فوق تل المدينة، دون أن يظن إليه أحد. كما قام (هانيبال) في تقدمه نحو روما، بتمهيد طريق النصر لجيشه، بجيش آخر من الجواسيس، يجمعون له المعلومات ومختلف الاستعدادات، وتحرك الجيش، والأنصار والحلفاء، وخصوصية الأرض،

وأنواع المحاصيل، ثم يضع خططه الحربية على ضوء ما يتوافر له من معلومات.⁽⁵¹⁾

أما "سيبيو" فقد اكتسب شهرته بانتصاره على (هانيبال) في عقر داره، وهو مدين بذلك الانتصار إلى جواسيسه، الذين اختلطوا بسياس (مروزي) الفيلة، التي كان هانيبال يستعملها في حربه، وعلموا منهم أن نقطة ضعف الفيل تكمن في شدة انزعاجه وفزع، إذا سمع أصواتاً مدوية فلما التقى الجيشان، أحدث جيش "سيبيو" ضجة هائلة بالطبول، فساد الذعر والارتباك بين الفيلة، وفقد جنود (هانيبال) السيطرة عليها فتراجعت وفرت، وانتصر (سيبيو) في المعركة عام 203 ق.م.⁽⁵²⁾.

يتحدث المؤرخ الروماني تيتوس ليفيوس⁽⁵³⁾ أيضاً عن تلك المفاوضات التي كانت بين سيفاكس وسكيبيو، والتي استغلها هذا الأخير في التجسس على معسكري سيفاكس وحليفه صدر بل قائد الجيش القرطاجي في هذا الصراع، وبعد تعرفه على المعلومات اللازمة، عمل على إفشال المفاوضات واستأنف القتال ضدهما، بإضرار النار في معسكراتهما معتمداً على نقاط الضعف التي تم تحديدها من طرف جواسيسه، ثم هاجمهما بقواته التي استطاعت هزيمتهما، وإلحاق خسائر كبيرة بهما، الأمر الذي جعل المؤرخ اليوناني بوليبيوس يحكم على هذا الانجاز الكبير الذي حققه هذا القائد الروماني، بفضل الخطة المحكمة التي انتهجها معتمداً على معلومات جواسيسه، بقوله: إنه أهم ما قام به سكيبيو منذ نزوله أرض افريقيا.⁽⁵⁴⁾

يذكر أيضاً أن مسينيسا⁽⁵⁵⁾ استغل ظروف الاستعداد للحرب المقدونية الثالثة (171 ق.م - 168 ق.م) بين الرومان والإغريق، وكشفه لمفاوضات سرية بين قرطاجة والملك "بيرسيه"⁽⁵⁶⁾ في التوسع على حساب قرطاجة، التي افتك منها في الفترة الممتدة ما بين 174 ق.م - 172 ق.م حوالي سبعين مدينة وقلعة في بلاد المغرب، وهو ما تسبب في احتجاج قرطاجي شديد على ما يذكر ليفيوس، ورغم اضطراب روما إلى مجاملة قرطاجة، خوفاً من حدوث أي تقارب مقدوني قرطاجي، إلا أن غلوسان بن ماسينيسا عرف كيف يستغل هذا الظرف ليحذر

مجلس الشيوخ الروماني من سوء نية القرطاجيين على ما يذكر ليفيوس، وبذلك لم تحرك روما ساكنها من شأنه أن يضع حدا لتصرفات ماسينيسا.⁽⁵⁷⁾

وتذكر المراجع التاريخية أيضا مجموعة من الأحداث التاريخية، التي تصب في نفس المنوال أي العمل الاستخباراتي ببلاد المغرب، سواء من طرف أبناء المغرب، أو من طرف أعدائهم بالمنطقة، وذلك في المراحل التاريخية التي جاءت بعد ماسينيسا، وخاصة في عهد أحفاده، والتي منها ذلك العمل الاستخباراتي الكبير، الذي صاحب الصراع الحربي القوي الذي كان قد نشب في المنطقة، وتوسع ليعم كل أراضي بلاد المغرب، بين الرومان ويوغرطة⁽⁵⁸⁾ بعد قضائه على ابن عمه انزبرغل عام 112 ق.م، في عاصمته سيرتا (قيرطة/قسنطينة حاليا)، وذلك رفقة عدد كبير من الرومان، مما دفع بروما إلى استدعائه ليقف أمام مجلس الشيوخ قصد محاسبته، فسافر إلى روما واستطاع أن يشتري بالذهب ذمم أعضاء الهيئة التي كلفت من طرف المجلس بالتباحث معه، كونه تمكن من خلال جواسيسه معرفة أن أعضاء الهيئة ضعاف النفوس ومن السهل شراؤهم، فصاروا بعد ذلك عوناً له أمام بقية أعضاء مجلس الشيوخ، وعاد إلى مملكته ظافراً منتصراً. ولما خرج من روما وقف عند أبوابها، والتفت إلى تلك المدينة العظيمة قائلاً: "آه لو وجدت من يشتريك أيتها المدينة المعرضة للبيع"⁽⁵⁹⁾.

غير أن مجلس الشيوخ الروماني رأى بعد ذلك أنه لا بد من محاربة يوغرطة، وإلا سوف تقع كل بلاد المغرب في يده، فأرسلت روما جيوشها إليه عام 110 ق.م.⁽⁶⁰⁾ غير أنه استطاع هزيمة جيوشها في عدة معارك، وعجزت على تحقيق الانتصار المرغوب، فعملت على استمالة صهره وحليفه ملك موريطانيا "بوخوس"، الذي قام بتنفيذ خدعة أوقعت بيوغرطة أسيراً بعد زيارته لمملكة موريطانيا وسلمه للرومان.⁽⁶¹⁾

وكما هو الحال في بلاد المغرب، عرفت شبه الجزيرة العربية وبلاد المشرق العربي، نشاطاً استخباراتياً محلياً بين مختلف القبائل والبطون، الهدف منه تجنب الغارات والمداهمات والغزو، أو على العكس القيام بها ضد الغير، والعمل على

حشد التحالفات والمصاهرات... الخ، وكان من الضروري إرسال العيون للتجسس، واقتفاء الأثر لمعرفة نوايا الخصم وحلفائه، والتخطيط للإيقاع به والإغارة على مضاربه، وسبي حرائره والاستيلاء على خيراته وأملاكه. (62)

يذكر التاريخ العربي أن الدولة الإسلامية الفتية التي أسسها النبي محمد ﷺ، بالمدينة المنورة بعد هجرته إليها في العام الثالث عشر للبعثة، عملت على استخدام أساليب إستخباراتية، في معرفة تحركات المشركين ومسارات قوافلهم، وعدد قواتهم وعدتهم في مختلف المعارك والغزوات، حيث جاء في بعض الدراسات عن السيرة النبوية أثر المخابرات وفن الجاسوسية، التي انتهجها الرسول ﷺ في التعامل مع الأمور الدنيوية، خاصة في مجال الحرب والقتال، رغم أنه لم يشارك قبل الهجرة في أي حرب أو قتال، حتى أذن له الله سبحانه وتعالى بقتال المشركين، فكانت سبعا وعشرين غزوة، وسبعا وأربعين سرية، لم يقاتل الرسول ﷺ إلا في تسع غزوات، استطاع فيها وفي غيرها أن يبدع ويبتكر في فنون الحرب والقتال، وكذلك في فنون المخابرات والجاسوسية التي لم تُعرف إلا بعد وفاته بعدة قرون. (63)

إن اهتمام الرسول ﷺ بالجانب الاستخباراتي، يعود إلى مرحلة الدعوة بمكة، وكذلك إلى هجرته أيضا، إذ كان وهو في غار "ثور" (64) رفقة صاحبه أبي بكر الصديق رضي الله عنه، يتقصى ويستخبر عن قريش، حيث كانت أسماء بنت أبي بكر تأتي لهما بالطعام وأخبار مكة، فلم يكن الرسول ﷺ بغافل عما كانت تخطط له قريش وغيرها، سواء في تلك الأثناء أو فيما بعد، بحيث لم تكن عيونه بعيدة عن مكة، إذ كانت تنقل له كل خططها وتحركاتها. (65)

إلى جانب ذلك النشاط الاستخباراتي الحثيث، الذي كانت تضطلع به تلك العيون التي أوجدها الرسول ﷺ، عملت أيضا وبكل نشاط وحيوية على إفشال وتثبيط همم المشركين وزرع الرعب والخوف في قلوبهم، هذا إلى جانب محاولة التفريق بينهم، وتسريب الشك والريب إلى أنفسهم، فقتل أو تتعدم أو تزول الثقة بينهم ويهون أمرهم بعد تفرق كلمتهم وتشتت وحدتهم، فيسهل على المسلمين عندئذ

مباغتتهم والتغلب عليهم وهزيمتهم، رغم القلة في العدد والضعف في العدة التي كانوا يعانون منها في تلك الأيام. وتأكيداً لهذا الأمر، جاء في كتب السيرة النبوية الشريفة، أنه وفي إطار تثبيط همم الكفار والمشركين واليهود المتحالفين ضده أرسل الرسول ﷺ حذيفة بن اليمان يوم "الخنق" (66) قائلاً له: "ادخل في القوم فانظر ماذا يفعلون، ولا تحدث شيئاً حتى تأتينا". (67)

ويخلص الباحثون بهذا المجال، أن الرسول ﷺ قد اهتمّ بأمر الاستخبارات وأعطاهما عناية فائقة، فاختار لها أكفأ العناصر ممن يتصفون بالذكاء والجرأة وضبط النفس، والتدريب الجيد ومعرفة لغة العدو... الخ، واهتم بعملية الانتشار، فقد كان له عيون في كافة القبائل، وهناك بعض من الأدلة التي تفيد عن مدى كفاءة استخباراته، ومنها أنه لم ترد في تاريخ السيرة حادثة انكشف فيها أمر واحد من عيون النبي ﷺ، وأن نية الأعداء بالعدوان كانت تبلغه في وقت مبكر، بحيث يمكنه اتخاذ إجراءات المواجهة حسبما يقتضي الموقف، وأنه لم يضع خطة لغزوة أو سرية دون أن تكون لديه المعلومات اللازمة للتخطيط الناجح، وأنه لم يستطيع الأعداء كشف أسرار المسلمين وخططهم ونواياهم، وأن جيشه ﷺ كان صاحب المبادرة ضد الأعداء في أغلب المعارك، وذلك بفضل كفاءة المخابرات، وقد كانت آخر وصاياه ﷺ عندما اشتدّ به المرض، لـ "أسامة بن زيد" قائد جيش المسلمين المتجه إلى الشام، بأن يهتمّ بعنصر الاستخبارات، حيث قال له: "خذ معك الادلاء وقدم العيون أمامك والطلائع". (68)

وسار الخلفاء الراشدون (11هـ - 632م / 45هـ - 661م) من بعده على نفس المنوال، فمثلاً كتب أمير المؤمنين "عمر بن الخطاب" (69) رضي الله عنه إلى قائد جيش المسلمين سعد بن أبي وقاص، وصية هامة تعتبر حتى الآن من أهم وأصدق ما قيل عن التجسس من الأعداء وعلى الأعداء وهي تقول: "بسم الله الرحمن الرحيم، من أمير المؤمنين عمر بن الخطاب إلى القائد سعد بن أبي وقاص، أما بعد إذا وطئت أرض العدو فاذك (فأرسل) العيون بينك وبينهم، ولا تخف عليك أمرهم وليكن عندك من العرب أو أهل الأرض من تطمئن إلى نصحه

وصدقه، فإنّ الكذب لا ينفعك خبرة وإن صدقك في بعضه والغاش عين عليك وليس عيناً لك".⁽⁷⁰⁾

وعلى نفس المنهج سار خلفاء عمر بن الخطاب، من الخلفاء الراشدين، والأمويين حين آل الأمر إليهم وقامت دولتهم (45هـ - 661م / 132هـ - 750م)، حيث عملوا على إنشاء جهاز استخبارات قوي، سواء في الداخل من أجل تحسس حال الرعية المؤيد منها، أو المعارض والمعادى، لأن تلك الفترة عرفت استمرار الفتنة والانقسام، وشهدت عدة ثورات ومحاولات تمرد على الحكم الأموي، أو في الخارج من أجل معرفة خطط الأعداء وعددهم وعدتهم، كي يتسنى لهم اتخاذ الصائب من القرارات والتصدي لخططهم، في الوقت المناسب وعلى النحو الأمثل، كما عملوا على كشف مختلف العيون والجواسيس التي دست عليهم، بإقامة استخبارات مضادة، استطاعت أن تجنب الدولة الإسلامية في ذلك الوقت، الكثير من المكائد والدسائس والضربات".⁽⁷¹⁾

أما العهد العباسي (132هـ - 750م / 656هـ - 1258م) فقد عرف نشاطاً استخباراتياً حثيثاً، إذ شغف الخلفاء العباسيون بالتجسس، ومالوا إليه، وقد عملوا على تسقط الأخبار والاهتمام بها، بطريقتين الأولى ظاهرية علانية يقوم بها أصحاب الأخبار والبريد، المنتشرين في كل مكان، والذين أوكلت لهم مهمة نقل كل الأخبار والمعلومات عن مختلف الأقاليم والولايات. والثانية خفية سرية يقوم بها أشخاص من مختلف الأعمار والفئات، لا يعرفهم أحد. ويقومون بنقل الأخبار والتقارير بطرق خفية وآمنة، وأول من عني بهذا النوع من التجسس الخليفة العباسي الثاني "أبو جعفر المنصور"⁽⁷²⁾، الذي حاول رفع مستوى هذا العمل إلى درجة عالية من الاحترافية.⁽⁷³⁾

وقد وضع جهاز استخباراتي محكم التنظيم، فشكّلوا دوائر استخبارات متعددة منها: دائرة خاصة دعيت بالأخبار والبريد، خاصة بالعيون الداخلية، وشكّلوا دائرة أخرى خاصة بالتجسس الخارجي، كما شكّلوا دائرة ثالثة خاصة بمكافحة جاسوسية العدو في البلاد الداخلية. وكان "صلاح الدين الأيوبي"⁽⁷⁴⁾، يرسل سراياه لكشف

أخبار خصومه وأعدائه، وعلى رأسهم "ريتشارد"⁽⁷⁵⁾، ملك إنجلترا أثناء استعداده للقيام بالحملة الصليبية الثالثة، على بيت المقدس عام 1191م، وقد استعمل في مختلف الأعمال الاستخباراتية، طوائف متعددة من البشر على إخلاف أعمارهم، ومهنتهم ودياناتهم⁽⁷⁶⁾.

وقد استعمل عناصر جهاز الاستخبارات عند العرب لغة الرمز في مراسلاتهم، حيث يعتبرون أول من أوجد علماً للرمز بالمعنى الصحيح للكلمة، وذلك بإيجادهم طرقاً ومناهج له، وبتدوينها خطياً، حيث تفوقوا على كل من سبقهم في الكتابات السرية، ففي عام 241 للهجرة (855 ميلادي)، أشار العالم أبو بكر بن وحشية إلى عدة أبجديات سرية تقليدية تستعمل في خدمة السحر، وذلك في كتابه "شوق المستهام في معرفة رموز الأقلام"⁽⁷⁷⁾.

ويبرز ما صنعه العرب في علم الرموز بكتاب "صيح الأعشى" لمؤلفه القلقشندي⁽⁷⁸⁾، وهو عبارة عن موسوعة من أربعة عشر جزءاً، كتبت لإعطاء عمال الدولة المعلومات الكافية في أهم فروع المعرفة، وفي الجزء المعنون "إخفاء المعلومات السرية في الرسائل" قسمان: الأول يختص بالرموز والاصطلاحات، والثاني بالحبر السري وفك الرموز.

تطرح دراسته مبدئاً أساسياً، هو أن محلل الرموز يجب أن يكون ضليعاً في اللغة التي كتبت بها الرسالة، ولما كانت العربية هي اللغة الأكثر استعمالاً في تلك المنطقة آنذاك، فإن المؤلف سعى إلى وضع تحليل مفصل لخصائصها، مع إبراز مميز لهذه الخصائص في القرآن الكريم. ويجهل إلى أي مدى استطاع العرب أن يستفيدوا مما ابتدعوا في علم الرموز، وما إذا كانوا استثمروا هذا العلم لمصالحهم السياسية والدبلوماسية.

الخاتمة:

وعلى نفس النهج سارت مختلف الدول العربية والإسلامية حتى التاريخ المعاصر، حيث اختلفت الموازين وانقلبت الأوضاع، فتراجعت أجهزة استخباراتها، كما تراجعت مختلف القطاعات والأنشطة الأخرى فيها، وأصبحت لا تسير تطورات ومستوى العصر، فحدث الانحطاط الذي ساد جميع مناحي الحياة، وعم الانكماش والتقهقر كل دواليب الدولة، التي أصبحت عرضة لمختلف عمليات الاختراق من لدن جميع أجهزة الاستخبارات الأجنبية، التي وجدت بها حقلاً لجني الأخبار والمعلومات، واصطياد الأفراد والشخصيات، فعم الفساد والضعف مما فتح الباب على مصراعيه لجحافل الاستعمار، التي لم تجد رادعاً لها يرهبها أو يوقفها ويكشف مخططاتها، رغم المقاومة الشعبية المستميتة التي أبدتها الأحرار من أبناء هذا الوطن، الذين افتقروا بشكل كبير للمعلومات الاستخباراتية التي كانوا في أمس الحاجة لها من أجل التصدي والصمود.

الاحالات :

- (1) مفرج أسعد ولجنة من الباحثين: موسوعة عالم المخابرات ، أصل الجاسوسية وتطورها، دار النشر نوبيلي، عشرة أجزاء، بيروت - لبنان، 2005، الجزء الأول، ص90.
- (2) بطرس حرشوف ومجموعة من المؤلفين: المنجد في الإعلام: دار المشرق، الطبعة الرابعة عشر، بيروت- لبنان، 1986، ص167.
- (3) نفسه : ص167.
- (4) بطرس حرشوف ومجموعة من المؤلفين: المنجد في الإعلام، المرجع السابق، ص90.
- (5) صالح محمود عابدين: المخابرات والأمن والجاسوسية، مكتبة مدبولي، القاهرة - مصر، 2003م، ص54.
- (6) هو محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرّاح كنيته أبو عبد الله ولد بقرطبة بالأندلس، حيث تعلم القرآن الكريم وقواعد اللغة العربية وجملة من العلوم والشعر. انتقل إلى مصر واستقر بها حتى وافته المنية في 9 شوال 671 هـ، ويعتبر من كبار المفسرين وكان فقيهاً ومحدثاً ورعاً وزاهداً

- متعبداً، ذكر المؤرخون للقرطبي عدة مؤلفات منها: "الجامع لأحكام القرآن" وكتاب جمع تفسير القرآن كاملاً، التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة... الخ.
- انظر المزيد عنه في كتاب عظماء الإسلام - محمد سعيد مرسي، مكتبة المدينة.
- وانظر أيضاً القرطبي <http://ar.wikipedia.org/wiki/>
- (7) مفرج أسعد ولجنة من الباحثين: المرجع السابق، الجزء الأول، ص10.
- (8) نفسه، ص10.
- (9) مفرج أسعد ولجنة من الباحثين: المرجع السابق، الجزء الأول، ص11.
- (10) **LE PETIT ROBERT, DICTIONNAIRE DE LA LANGUE FRANCAISE, MAURY-IMPRIMEUR, PARIS, FRANCE, 1992, p690**
- (11) مفرج أسعد ولجنة من الباحثين: المرجع السابق، الجزء الأول، ص11.
- (12) نفسه، ص11.
- (13) مفرج أسعد ولجنة من الباحثين: المرجع السابق، الجزء الأول، ص14.
- (14) **CENTRE DE RECHERCHE DES MENACES CRIMINELLES CONTEMPORAINES MCC 1988,**
<http://www.drmcc.org/IMG/pdf/41b3b1b12aaf8.pdf>
- (15) مجموعة مؤلفون: الموسوعة العسكرية، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت لبنان، الجزء الأول، الطبعة الأولى، 1977م، ص 250.
- (16) نفسه، ص251.
- (17) نفسه، ص 62.
- (18) مفرج أسعد ولجنة من الباحثين: المرجع السابق، الجزء الأول، ص22.
- (19) عارف عبد الغني: نظم الاستخبارات عند العرب والمسلمين، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، عين مليلة، الجزائر، الطبعة الأولى، 1411هـ - 1991، ص09.
- (20) د. حسن محمد عبه جي: (التجسس في الإسلام - صوره وأحكامه)، مجلة الأمن والحياة، العدد 241، الرياض، المملكة العربية السعودية، أوت /سبتمبر 2002م، ص 36.
- (21) نفسه، ص 36.
- (22) مفرج أسعد ولجنة من الباحثين: المرجع السابق، الجزء الأول، ص87، 88.
- (23) مفرج أسعد ولجنة من الباحثين: المرجع السابق، الجزء الأول، ص88، 89.
- (24) نفسه، ص82.
- (25) صالح محمود عابدين: المرجع السابق، ص54 - 58.

- (26) منتديات قوات الأمن المركزي، مفهوم الاستخبارات السياسية والعسكرية، الجمهورية اليمنية، وزارة الداخلية. - انظر المزيد عنه في <http://www.yemencsf.org/vb/showthread.php?t=12050>.
- (27) الرئيس الأسبق لوكالة المخابرات المركزية الأمريكية (1961/1953).
- (28) خالد محمد غازي: الجاسوس: طريق الخداع .. سري للغاية، وكالة الصحافة العربية، القاهرة - مصر، الطبعة الأولى، 2002.
- (29) جنكيز خان هو تيموجن عاش ما بين عامي 1165 و 1227 ميلادية. كان ملكا منغوليا وقائدا عسكريا استطاع أن يوحد القبائل المنغولية ويؤسس الإمبراطورية المنغولية، وذلك بغزوه معظم أراضي قارة آسيا، بما فيها إمبراطورية الصين، وهو جد القائد المنغولي هولاكو، الذي غز الدولة العباسية وأسقط عاصمتها بغداد.
- أنظر: منير البعلبكي، معجم أعلام المورد، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، 1992م. وأيضا: المنجد في الأعلام، المرجع السابق، ص 219.
- (30) كان دايفيد: المرجع السابق، ص 14.
- (31) قائد عسكري صيني عاش في القرن السادس قبل الميلاد، كتب في التاريخ الصيني، لاسيما في الميدان الاستخباراتي والحربي، وله مؤلف بعنوان "فن الحرب". انظر المزيد في محمد المشرف خليفة: من تسو وكتاب "فن الحرب"، مجلة درع الوطن، العدد 512، سبتمبر 2014، الامارات العربية المتحدة، ص 82-84.
- (32) مفرج أسعد ولجنة من الباحثين: المرجع السابق، الجزء الأول، ص 15.
- (33) خالد محمد غازي: المرجع السابق.
- (34) كان دايفيد: المرجع السابق، ص 15.
- (35) مفرج أسعد ولجنة من الباحثين: المرجع السابق، الجزء الأول، ص 31-34.
- (36) الكنعانيون هم شعب سكن منطقة بلاد الشام منذ حدود الألف الرابع قبل الميلاد، ويعتقد بأنهم قدموا من جنوب جزيرة العرب. وقد بنوا حضارة هامة في البحر الأبيض المتوسط وكانوا من أهم التجار في المنطقة. انظر المزيد عنه في: عبد الوهاب الكيلاني ومجموعة من المؤلفين: موسوعة السياسية، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، دار الهدى، بيروت، لبنان، 1985.
- (37) مفرج أسعد ولجنة من الباحثين: المرجع السابق، الجزء الأول، ص 36-37.
- (38) يشوع بن نون: نبي مذكور في سفر يشوع، من ذرية سيدنا يوسف عليه السلام، عاش بين القرنين 13 ق م والـ 12 ق م من قبيلة إفرايم. - أنظر: منير البعلبكي، المرجع السابق. وأيضا: المنجد في الأعلام، المرجع السابق، ص 750.

- (39) د. زهر الدين صالح: المرجع السابق، ص 11-11.
- (40) طوماس غوردون: انحطاط المومساد، اغتياالات وأكاذيب وارتزاق، ترجمة الدكتور محمد معتوق، دار بيسان، بيروت - لبنان، 2000، ص 206.
- (41) خالد محمد غازي: المرجع السابق.
- (42) بوليبيوس polybios (نحو 210-125 ق.م) مؤرخ يوناني أخذ رهينة إلى روما فكتب تاريخها، وهو أثنى ما بقي من تاريخ روما ونظمها، وضع كتاباً في أربعين مجلداً دعاه التاريخ، وفيه تحدث عن فتوح روما وسيطرتها على العالم. لم يبق من هذا المجلد الضخم سوى الأجزاء الخمسة الأولى، وشذرات متفرقة من الأجزاء الأخرى.
- أنظر: منير البعلبكي، المرجع السابق. وأيضاً: منجد الأعلام، المرجع السابق، ص 153.
- (43) كان دافيد: المرجع السابق، ص 16.
- (44) قيصر غيوس يوليوس: ولد عام 100 ق.م. سياسي ومؤرخ وقائد عسكري روماني، قاد الجيش الروماني، ثم حكم روما بعد قضائه على منافسيه عام 49 ق.م، دخل في صراع مع مجلس الشيوخ الروماني مما أدخل روما في حرب أهلية، غير أن أعداءه اغتالوه في مارس عام 44 ق.م - أنظر: منير البعلبكي، المرجع السابق. وأيضاً: منجد الأعلام، المرجع السابق، ص 560.
- (45) الغال بالفرنسية Gaule، باللاتينية Gallia: هو الاسم الذي أطلقه الرومان على المنطقة التي يسكنها الغاليون وهم شعوب سلتية. كانت تمتد على ما يعرف حالياً شمال إيطاليا وفرنسا، وبلجيكا.
- أنظر في: ول وإيريل ديورانت، اعداد وترتيب محمد عبد الرحيم: قصة الحضارة، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم - دار الجيل للطبع والنشر والتوزيع، دار الجيل، بيروت، لبنان، 1992م المجلد الثالث.
- (46) كان دافيد: المرجع السابق، ص 17.
- (47) حنبعل بن حملقار برقاً الشهير بهانيبال (247 ق.م - 182 ق.م): قائد عسكري قرطاجي يُنسب إليه اختراع العديد من التكتيكات الحربية في المعارك، كما يعد واحداً من أعظم القادة العسكريين في التاريخ. قاد الجيش القرطاجي في الحرب البونية الثانية، عبر جبال الالب بجيشه وفيلته عام 218 ق.م قصد غزو روما التي هزم جيوشها، غير أنه عجز في دخولها ووصل به المطاف إلى هزيمته وهزيمة قرطاجة في هذه الحرب، ويقال أنه مات منتحراً. - أنظر في: منير البعلبكي، المرجع السابق، وأيضاً المنجد في الأعلام، المرجع السابق، ص 732.
- (48) بسام العسلي: هانيبال (القرطاجي)، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت/لبنان، الطبعة الأولى، 1980، ص 66، 70.

- (49) محمد الهادي حارش: التاريخ المغربي القديم السياسي والحضاري منذ فجر التاريخ إلى الفتح الإسلامي، المؤسسة الجزائرية للطباعة، الجزائر، 1995، ص 63، 68.
- (50) صقلية بالإيطالية "Sicilia وتلفظ سيشيليا"، جزيرة إيطالية، وأكبر جزر البحر الأبيض المتوسط وتقع جنوب شبه الجزيرة الإيطالية، مساحتها 25,710 كيلو متر مربع، أكبر مدنها باليرمو العاصمة.
- (51) شارل أندري جوليان: تاريخ إفريقيا الشمالية تونس، الجزائر، المغرب الأقصى من البدء إلى الفتح الإسلامي 647م، تحرير: محمد مزالي / البشير بن سلامة، إعادة طبعته وتصنيفه، مؤسسة تاوالت الثقافية، 2011، ص 85 - 86 .
- (52) أحمد توفيق المدني: قرطاجنة في أربعة عصور، من عصر الحجارة إلى الفتح الإسلامي، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986، ص 61 - 62.
- (53) تيتوس ليفيوس ولد عام 59ق.م. في مدينة بادوا شمالي إيطاليا. كانت دراسته تتركز على القانون والخطابة، انتقل إلى روما حوالي عام 40ق.م. حيث كتب عن تاريخ الرومان وبطولاتهم. - انظر المزيد في ليفيوس <http://ar.wikipedia.org/wiki>.
- (54) محمد الهادي حارش: التطور السياسي والاقتصادي في نوميديا منذ اعتلاء مسينيسا العرش إلى وفاة يوبا الأول 203-46 ق.م، دار هومه للطباعة والنشر والتوزيع، بوزريعة - الجزائر، 1996، ص 35.
- (55) ماسينيسا Masinissa المازيلين أهم ملوك دولة نوميديا، ولد في سنة 238 ق.م، بخنشلة في الجزائر، ثم انتقل إلى مدينة قرطا (سیرتا)، واتخذها عاصمة له، ووجد الأمازيغ في مملكة نوميديا، بعد انتصاره على الملك صيفاقس 203 ق.م، توفي حوالي 148 ق.م. انظر المزيد في محمد علي دبوز: تاريخ المغرب الكبير.
- (56) الملك بيوسيه: ملك مقدونيا (179 ق.م-168 ق.م)، حارب الرومان من 171 ق.م، إلى 168 ق.م، وضعت على إثرها مقدونيا تحت السيادة الرومانية. انظر المزيد في محمد الهادي حارش: المرجع السابق.
- (57) محمد الهادي حارش: المرجع السابق، ص 27.
- (58) يوغرطة (160 ق.م - 104 ق.م): ملك نوميديا، ولد بعاصمة سیرتا (قسنطينة حاليا)، ابن ماستانابال حفيد ماسينيسا، تبناه عمه مكيبسا سنة 120 ق.م، غير أنه دخل مع أبنائه حفصبعل وعزربعل بعد وفاته عام 118 ق.م في صراع انتهى بالقضاء عليهما ومعادة روما، التي حاربتهم وعجزت في القضاء عليه، فتآمرت مع بخوس ملك موريطانيا للإيقاع به عام 105 ق.م، ويقتل

جوعا في سجن بروما عام 104ق.م. انظر المزيد في محمد الهادي حارش:

المرجع السابق. وأيضا محمد علي دبور: تاريخ المغرب الكبير.

(59) أحمد توفيق المدني: المرجع السابق، ص 81-82.

(60) نفسه، ص 82.

(61) محمد البشير شنييتي: الاحتلال الروماني لبلاد المغرب، (سياسة الرومنة 146ق.م/40م)،

المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، الطبعة الثانية، 1985، ص 35 إلى 38.

(62) عبد النبي حجازي: جنود الحضارة الإسلامية، صوت للعروبة، أسبوعية إعلامية تصدر في

الولايات المتحدة الأمريكية، تعنى بشؤون الوطن والجالية العربية في المهجر.

<http://www.arabvoice.com/modules.php?op=modload&name=News&file=article&sid=1007>

(63) مفرج أسعد ولجنة من الباحثين: المرجع السابق، الجزء الأول، ص 42-43.

(64) غار ثور يقع جنوب مكة المكرمة أوى إليه الرسول ﷺ في هجرته إلى المدينة المنورة ومعه

صاحبه أبو بكر. أنظر: عبد القدوس الانصاري: طريق الهجرة النبوية، مطابع الروضة، جدة،

المملكة العربية السعودية، الطبعة الاولى، 1978. وأيضا: أحمد خليل: رحلة إلى غار ثور

<http://www.eyecairo.net/arabic/thawr.html>

(65) عارف عبد الغني: المرجع السابق، ص 22-23.

(66) غزوة الأحزاب أو غزوة الخندق معركة وقعت في الخامس للهجرة بين المسلمين وقريش

وأنصارها انتهت بانتصار المسلمين. انظر علي محمد الصلابي: غزوات الرسول صلى الله عليه

وسلم دروس وعبر وفوائد، مؤسسة إقرأ للنشر والتوزيع والترجمة، القاهرة، مصر، الطبعة

الأولى، 2007. وأيضا: في غزوة الخندق <http://ar.wikipedia.org/wiki>

(67) عارف عبد الغني: المرجع السابق، ص 24-25.

(68) صالح محمود عابدين: المرجع السابق، ص 15-21.

(69) عمر بن الخطاب الفاروق، ثاني الخلفاء الراشدين (13هـ/23هـ)، سمي بأمر المؤمنين،

وأول من عمل بالتقويم الهجري، وفي عهده فتحت العراق ومصر وليبيا والشام وفلسطين، أستشهد

بعد ثلاثة أيام من طعنه في صلاة الفجر يوم الأربعاء (26) من ذي الحجة سنة (23هـ)، من

طرف أبو لؤلؤة المجوسي. انظر المزيد عنه في: عبد الوهاب الكيلاني ومجموعة من المؤلفين:

المرجع السابق.

(70) مفرج أسعد ولجنة من الباحثين: المرجع السابق، الجزء الأول، ص 49 - 50.

(71) نفسه، ص 95-103.

(72) أبو جعفر عبد الله المنصور (775/12-775/12) ثاني خلفاء بني العباس وأقوام. شيد مدينة بغداد واتخذها عاصمة للدولة العباسية، تولى الخلافة بعد وفاة أخيه العباس من عام 754 م حتى وفاته في عام 775 م. انظر المزيد عنه في: عبد الوهاب الكيلاني ومجموعة من المؤلفين: المرجع السابق.

(73) عارف عبد الغني: المرجع السابق، ص 105-107.

(74) الملك الناصر يوسف بن أيوب (1138-1193م)، مؤسس الدولة الأيوبية في مصر والشام، أمد سلطانه إلى شمال العراق وبلاد اليمن، استعاد القدس 1187م، صد الحملة الصليبية الثالثة (1191/1192) بقيادة ملوك إنكلترا وفرنسا وألمانيا... الخ، توفي عام 1193م. انظر المزيد عنه في: عبد الوهاب الكيلاني ومجموعة من المؤلفين: المرجع السابق.

(75) ريتشارد الأول أو ريتشارد قلب الأسد: ولد عام 1157، ملك إنجلترا (1189-1199م)، قاد الحملة الصليبية الثالثة إلى بيت المقدس، ارتكب مجزرة عكا 1191م، أخفق في انتزاع بيت المقدس من أيدي المسلمين فقرر العودة إلى بلاده، فاعتقله ليوبولد دوق النمسا، أثناء رحلة العودة (1192-1194م)، ثم أطلق سراحه في مقابل فدية كبيرة. بعد استعادته لحريته وملكه حاول استرداد أملاك أسرته في فرنسا، فمات أثناء معركة قرب قصر شالوس في فرنسا 1199م. انظر المزيد عنه في: عبد الوهاب الكيلاني ومجموعة من المؤلفين: المرجع السابق.

(76) منتديات قوات الأمن المركزي، مفهوم الاستخبارات السياسية والعسكرية، الجمهورية اليمنية، وزارة الداخلية. - انظر المزيد عنه في <http://www.yemencsf.org/vb/showthread.php?t=12050>.

(77) كان دافيد: المرجع السابق، ص 20، 19.

(78) القلقشندي: (756هـ-1355م / 821هـ-1418م)، مؤرخ، وصاحب صبح الأعشى، هو أبو العباس شهاب الدين أحمد بن علي بن أحمد القلقشندي، درس في القاهرة والإسكندرية، وبرع في الأدب والفقه الشافعي، التحق بديوان الإنشاء في عهد السلطان الظاهر برقوق سنة 791هـ، واستمر فيه حتى عام 801هـ، مع مطلع القرن التاسع الهجري وضع موسوعته الضخمة "صبح الأعشى في صناعة الإنشاء"، الذي ألفه ما بين 805هـ و814هـ. ورحل سنة 821هـ/1418م. انظر: شاكور مصطفى: التاريخ العربي والمؤرخون، دراسة في تطور علم التاريخ ومعرفة رجاله في الاسلام، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، الجزء الثاني، 1990.